

آخر س : مولا حق

تَوَجَّيْهِ الْعَقِيلَ الرُّوسِيَّ

Shut up

بِأَمْرِ
~~جورج~~

تَجَنُّعَة

حسن الرجبى و شمع لافى

370.947: C85

كاونتس و جورج سيلفستر.

توحيه العقل، الله س .

370.947

C85 A

NEW YORK

1 FEB 1975

13 JAN 1975

تَوْجِيْهِ الْعَقْلِ الرَّوْسِيِّ

بِقِطَاعِ
جورج لمانوس

تَرْجُمَةُ
جسّ الرحبيلي و صليح الدين

67387

منشورات مجلة عالم الفكر

(٧)

المحتويات

- ١ - تقديم
- ٢ - تاريخ التربية الروسية
- ٣ - تقدم التعليم
- ٤ - التوجيه الجديد
- ٥ - مسؤوليات جديدة
- ٦ - سلطة المعلمين
- ٧ - عصبة الشيوعيين الفتيان
- ٨ - القضاء على الطبقة البورجوازية
- ٩ - تقوية روابط العائلة
- ١٠ - اذكاء الروح الوطنية
- ١١ - قوة روسية عسكرية
- ١٢ - سياسة روسية الخارجية
- ١٣ - ستالين الحكيم

تقديم

هذه رسالة تربوية قيمة وضعها الدكتور جورج كاوتس
استاذ التربية الاجتماعية في كلية المعلمين - جامعة كولمبيا
في نيويورك ، ونشرت تباعا في مجلة عالم الغد (السنة
الثانية : جزء ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) . وقد رأينا أن
ننشرها في كراس مستقل انما للفائدة ونزولا عند رغبة كثير
من المهتمين بشؤون التربية والتعليم .

ومما هو جدير بالذكر ان هذه الرسالة لم تشر بعد في
اللغة الانكليزية ، وقد استطعنا الحصول عليها من معالي
الدكتور محمد فاضل الجمالي أثر عودته من تمثيل العراق
في مؤتمر سان فرسيسكو . فقد أهدها المؤلف نسخة
خطية منها وسمح لنا المؤلف بترجمتها الى اللغة العربية .
والدكتور كاوتس من مشاهير المربين والكتاب

الاحرار الامريكيين ، ومن المؤلفين المعروفين • فقد وضع
 عدة كتب فى التربية والاجتماع والسياسة • ويعد خيرا فى
 شؤون الاتحاد السوفياتى ، وفى طليعة المهتمين بالنظام الروسى •
 فقد زار روسيا فى سنة ١٩٢٧ ، ١٩٢٩ ، و ١٩٣٦ ، واتسبب
 للتدريس فى احدى جامعاتها فصار من المختصين فى شؤون التعليم
 فى الاتحاد السوفياتى • وهو الى جانب هذا رئيس حزب
 العمال فى ولاية نيويورك ، وعضو فى نقابة العمال المعروفة
 بـ A.F.L. ، وعضو مهم فى الجمعية التربوية الوطنية ،
 وأشد اعداء الشيوعية فى أمريكا • كما انه خير بأحوال
 الصين • فقد عاش فى مدينة بكينغ من سنة ١٩١٦ -
 سنة ١٩٢٧ ، ونال من الحكومة الصينية المركزية
 وساما تقديرا للخدمات التى أبدائها حينما كان رئيسا للجنة
 العالمية لمكافحة المجاعة فى الصين •

والذى حملنا على ترجمة هذا الكراس ونشره هو
 رغبتنا الشديدة فى توير أذهان المشتغلين فى أمور
 التربية والتعليم بالخطط التى تعدها الدول الكبيرة

وبالانقلابات الاساسية التى تحدث فى فلسفة التعليم • ولما كان الاتحاد السوفياتى هو احدى هذه الدول الكبرى التى يهمنها معرفة ما يجرى بهامن تطورات ثقافية وسياسية واقتصادية ، ولما كنا نرغب فى تقديم هذه التبدلات بأسلوب علمى خال من التهويش والدس ، ولما كانت عنايتنا بالاتحاد السوفياتى لا تختلف عن عنايتنا ببريطانية والولايات المتحدة الامريكية وغيرهما من الدول من حيث دراسة أنظمتها واتجاهاتها وفلسفتها كما تمليه علينا عقيدتنا القومية ، وكما تتطلبه مصلحةنا القومية ، تلك المصلحة التى نعدّها الدافع الاساسى لما نكتب ونقول رأينا أن نقدمها الى المثقفين دليلا على تجردنا من العواطف الضيقة التى هى أشد أعداء العلم والثقافة •

وسيجد القارئ عندما يفرغ من قراءة هذا الكراس أن فلسفة التعليم فى الاتحاد السوفياتى تستهدف خلق مجتمع جديد فى نظمه الاقتصادية والاجتماعية؛ مجتمع عفيف فى تحقيق هذه الاهداف، عفيف فى متابعتها ، عالم بما هو ساع له • ومتى كانت فلسفة التعليم واضحة المعالم أدت التربية رسالتها فى

توجيه الجيل توجيهها يتفق والخطوط الأساسية لهذه
الفلسفة • والتعليم في الاتحاد السوفياتي « تصميم » تربوي
يجري على نمط المشاريع الحكومية ، إلا أن الفارق هو
في مادة الانشاء والبناء أو في مادة التوجيه ومادة التوجيه هي
العلوم الاجتماعية ، التي يستفاد منها في تربية الفرد تربية وطنية
تمتد أصولها إلى عناصر حضارته ، وترتكز في خصائصه
القومية الأساسية ؛ فينشأ الفرد على حب بلاده وتقدير ماضيه ،
ويندفع في بناء مستقبله على قواعد متينة •

الترجمان



(١)

يتطلع العالم اليوم الى روسية ، فقوتها الهائلة كما بدت فى هذه الحرب تجعل سياستها موضوعا مهما جدا لمن يعنى فى العالم ومستقبله . وليس فى مظاهر الحياة الروسية شيء يوضح لنا ذلك مثل ما توضحه لنا التبدلات الحديثة فى التربية الروسية ، لان التربية فى حد ذاتها تمثل مستقبل روسية البعيد ، فجميع التبدلات المهمة التى تعترضها لا تستقل فيها مهنة التعليم وحدها ، وانما تقوم بها سلطات الدولة العليا . ولهذا السبب كانت التبدلات التربوية تعبر عن التبدلات الخارجية والداخلية فى سياسة روسية . ولكى نفهم هذه التبدلات الحديثة فهما جيدا يجب أن ندرسها فى ضوء تاريخ التربية الروسية منذ ثورة ١٩١٧ .

(٢)

تاريخ التربية الروسية :

مر تاريخ التربية الروسية فى أدوار مضطربة . فقد كانت المناهج المدرسية ومناهج المؤسسات التربوية الاخرى المماثلة موضع انتقاد مستمر من رجال الحزب الشيوعى والزعماء السوفيتيين من أيام

لنين حتى اليوم . فمنذ شهر تشرين الثانى سنة ١٩١٨ ، أى
فى الوقت الذى صدر فيه قانون التعليم أخذت الانظمة تتوالى الواحدة
بعد الاخرى ، وأخذ التبدل يلاحق بعضه بعضا بسرعة متناهية . وإذا
ما قايستنا ذلك بما حدث فى أقطار أخرى أيقنا أن تاريخ قرن كامل
قد جمع فى زمن جيل واحد . فالتربية السوفياتية اليوم لا تشبه
التربية فى سنة ١٩٢٠ الا قليلا .

ان الطريق الذى سلكته التربية السوفياتية نتيجة مباشرة
لمفهوم التربية كما يؤمن بها الزعماء الروس . فهؤلاء يعتقدون ان
التربية عملية فى غاية الاهمية والخطورة ، وهى أداة «الحزب الشيوعى»
التي يبلغ بها أهدافه . وعلى هذا الاساس يتمتع نظام التربية عندهم
بالمنزلة التى تتمتع بها « لجنة التصميم الحكومية » . أو القوات
المسلحة ، أو الانضباط العسكرى ، بل حتى الحكومة السوفياتية نفسها .
« فالحزب الشيوعى » يعير التربية اهتماما كبيرا ، ويقوم باجراء
جميع التبدلات الاساسية فى سياسة التربية والتعليم بواسطة الانظمة
والتعليمات والتوصيات . ان أقل معارضة أو انتقاد يوجهه المعلمون
أو المربون اليها يؤدى الى فصلهم من المهنة ووسمهم بالعار . ولن

يستطيع المعلم ، من حيث هو معلم ، أن يساهم في وضع أهداف التربية العامة ، ذلك لأنه يرى نفسه أداة آلية لتنفيذ السياسات التي يضعها « الحزب الشيوعي » . وهكذا نرى ان التربية في الاتحاد السوفياتي قد سارت الكفاح السياسي جنبا الى جنب . ولا كانت القوى الثائرة قد اختطت لها اتجاهات جديدة ، وواجهت ظروفًا جديدة ، وتحملت واجبات جديدة تبدلت طرائق التربية وأهدافها كذلك . واذا ما أردنا أن ننظر الى مستقبل التربية في روسيا يجب أن نتذكر دائما أن الثورة لم تنته بعد .

(٣)

ان الاسس العامة لنظم المدارس بقيت كما كانت عليه في أوائل الثورة الروسية . ففي ذلك الوقت ألغيت جميع المدارس الخصوصية ، وأخذت الدولة على عاتقها القيام بالمسؤوليات التي تتطلبها التربية كافة . فقد سنت الدولة نظاما تربويا واحدا قوامه مدارس للرعاية ورياض أطفال ، ومدارس ابتدائية وثانوية وصناعية وعالية مضافا اليها عدد من المؤسسات الاخرى الموازية والمكملة لها ؛ وفتحت المدارس أبوابها للناس جميعا من دون تمييز بين البنيين والبنات ،

والعناصر والقوميات . وأجازت السلطات لكل عنصر وقومية على قدر الامكان ، وشجعتها على أن تدرس في هذه المدارس لغتها وثقافتها .
وعى لعمري فصول رائعة في تاريخ التربية تتحدى كل فرد أن يأتي بمثلها في هذا العصر . ان هذه الخصائص العامة لنظام التربية في روسية استمرت وصمدت ، ولكن بتحويل قليل ، أمام تقلبات السنين الماضية جميعها .

تقدم التعليم :

ان تقدم التربية الروسية من حيث الكم لعظيم جدا .
فالاحصائيات الرسمية تدلنا على أن عدد التلاميذ والطلاب الذين كانوا يداومون في المدارس على اختلاف أعمارهم ودرجات مدارسهم سنة ١٩١٤ نحو من ٨٠٠٠ ١٣٧٠٠٠ ، فازداد هذا العدد سنة ١٩٢٩ الى ٨٠٠٠ ١٥٠٠ ، وأرتفع حتى صار ٤٧٧٠٠٠ ٠٠ ٠٠ طالب وطالبة في ١٩٣٩ . ففي هذا العام « صار مجموع ما تضمه المدارس ربع مجموع السكان تقريبا » . ان هذا التوسع الهائل في عدد المدارس الذى رافقه افتتاح مؤسسات خاصة مختلفة للغرض نفسه أدى الى هبوط نسبة الامية بمقدار ٥٠ - ٦٠ بالمائة عما كانت عليه قبل الثورة حتى

بلغت ١٠ - ١٥ بالمائة في الوقت الحاضر .

وتدعى السلطات الروسية « ان جميع الذين التحقوا بالجيش
الاحمر في السنوات الاخيرة يقرءون ويكتبون كافة بلا استثناء » .
ومع ان هذه العبارة يجب أن تقابل بحقيقة فقد كانت محاربة الامية
والقضاء عليها من أعمال الثورة الخالدة .

(٤)

لعل الزائر الامريكى لمدرسة سوفياتية فى سنة ١٩٢٠ يستنتج
بصورة طبيعية وكما استنتج كثيرون غيره ، ان السلطات السوفياتية
قد اتبعت شكلا متطرفا من أشكال التربية الحديثة . فقد يرى مدرسة
تسيرها مصالح التلاميذ والشبان ورغباتهم وفعاليتهم - مدرسة ليس
فيها عقاب ولا واجبات بيتية ، ولا امتحانات ولا درجات ، مدرسة
ليس للمواضيع المدرسية المعروفة فيها محل - مدرسة ليس فيها
منهج منظم ، يدور التعليم حول مشاريع ومشاكل تتصل بالحقل
والعمل - مدرسة تؤكد فى مطالب العصر الحاضر ، وتجمع جهودها
للمناقش السياسى - مدرسة لا يختلف فيها المنهج البنين عن المنهج
البنات فى شئ أبدا - مدرسة « تقديمية » فيما يتعلق بالروابط

الجنسية بين الذكر والانثى ، تقدمية فيما يتعلق بدور المرأة في المجتمع .
وقد يرى الزائر أيضا ان المعلمين والآباء كثيرا ما يترددون في فرض
سيطرتهم على تلاميذهم وأبنائهم وبناتهم . وقد يرى ذلك في الجامعات
والمدارس الصناعية العالية كما يراها في المدارس التي هي دونها .
والحقيقة انه لو سبر الاشياء لتملكه العجب من وحدة العقيدة والمبدأ
عند الاطفال والشباب .

التوجيه الجديد :

وبينما تأثر المربون السوفيتيون بعقائد الغرب التربوية ،
لاسيما الالمانية والامريكية ، نجد أن زعماء الثورة الواقعيين
الجريئين في تفكيرهم كانت تدفعهم اعتبارات أخرى مختلفة فقد
وجدوا حينما تسلموا مقاليد الحكم بعد ثورتهم وأسسوا ديكتاتوريتهم
أنهم يحكمون شعوبا كثيرة مختلفة لم تفهم أغراضهم ، ولم يشتركوا
معهم فيها ؛ ولقد قاسوا في الحقيقة من الطبقة المثقفة عداوا عظيما مرا .
فصمموا على أن يقوموا بعمليتين : كسب الشباب لقضيتهم أولا ، وتربية
جيل من الاختصاصيين موال لمبادئ الثورة ثانيا ، فوجدوا في المدارس
الاداة الوحيدة لبلوغ هذا الهدف المزدوج . لم يستطع زعماء

السوفييت اذن أن يقضو على المدارس أو المدرسين كما لو أرادو القضاء على طبقة طفيلية . ولذلك لم يكن لهم بد من كسبهم .

ان عملية اكتسابهم هذه قد اتخذت أشكالا متعددة ؛ فأسسوا « جمعية الرواد الاحداث » للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسادسة عشر، وشكلو « عصبة الشباب الشيوعي » للفتيان والفتيات الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشر والثالثة والعشرين . فصار هذه المؤسسات آلات تسيطر بها القوى الثورية على المدارس والجامعات وغيرها من المؤسسات ، وأصبحت تحت مراقبة زعماء الحزب الشيوعي وحمايتهم وتوجيههم ؛ كما استخدمت هذه المؤسسات لوقف سيطرة الآباء على أطفالهم . وقد حقق « الرواد » و « الشيوعيون الاحداث »

فى النظام التربوى الغرض الذى حققه المفوضون السياسيون فى الجيش . وكان هؤلاء عنصرًا مهمًا فى الكفاح من أجل السيطرة السياسية فى الدولة السوفياتية ، وتحقيق أهداف الثورة ، كما قد أصبحوا فى المدارس عيون الحزب الشيوعي وأبواقه ، يتسقطون الاخبار، ويجمعون له الاعوان . وقد قال ألبرت بى بنكويش Albert

P. Pinkevitch فى كتابه « الموجز فى علم التربية » سنة ١٩٢٨ : « أن

« الحكم الذاتى فى المدارس قد صار أداة الكفاح العنيف ضد المدرسة القديمة وضد المعلم القديم الذى لم يفهم أهداف المدرسة السوفياتية الجديدة ولم يرغب فيها » .

واتخذت فى توجيه التعليم العالى تدابير أخرى، قد تكون من الوجهة التربوية غير صحيحة الا انها مؤثرة من الوجهة السياسية، فقد ألغيت امتحانات الدخول العلمية ، وحرّم على أطفال الطبقة الممتازة القديمة دخول المدارس، وأرسل فى بعض الحالات الى الجامعات عمال لم يتلقو دروسا تؤهلهم للدخول فى الجامعات والمدارس الصناعية العالية ، وأسس لهم بعدئذ معهد خاص مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات واسمه « معهد العمال » ، وذلك لاعداد الفتيان والفتيات من طبقة البروليتاريات والفلاحين الفقراء للدخول فى المدارس العالية . وفتح كثير من أمثال هذه المعاهد ، ان كثيرا من قادة السوفيت فى الاقتصاد والادارة والجيش والتعليم والعلوم الطبيعية والفنون والآداب قد وصلو الى مراكزهم الحالية بطريق هذه المعاهد . لقد استطاعت القوى الثائرة بواسطة هذه التدابير أن تكون جيلا من الاختصاصيين هو من دم الطبقة الشعبية « البروليتارية » ولحمها .

مسؤوليات جديدة :-

وفي سنة ١٩٢٨ التي تعد تحولا عظيما في تاريخ العهد الجديد انتصر ستالين على خصمه تروتسكى ومنافسيه الآخرين في كفاحه من أجل الحكم . وهذا الانتصار لم يكن شخصا ، بل انه انتصار للفكرة القائلة بأن الاشتراكية يمكن أن تحقق في قطر واحد - في الاتحاد السوفياتي - وتتطلب توجيهها جديدا كليا في السياستين الداخلية والخارجية . وكان من نتيجة ذلك ان تركت وقتيا على الاقل عقيدة الثورة العالمية ، واتجهت جميع القوى نحو تكوين دولة صناعية قوية . وفي هذه السنة نفذ « مشروع الخمس سنوات الاول » - هذا المشروع الذي كان شعاره « ادراك المرحلة الصناعية العظيمة التي وصلت اليها الاقطار الرأسمالية وسبقها في أقصر زمن تاريخي ممكن . وبهذا يتحقق ظفر الاشتراكية في تنافسها التاريخي مع النظام الرأسمالي » . وقد استولى هذا الشعار على حياة الاتحاد السوفياتي وتفكيره طوال السنوات القادمة . ان نجاح « مشروع الخمس

سنوات الاول « لم يدون على خارطة روسية حسب بل على خارطة العالم أيضا .

ان التبدلات العظيمة التي حدثت في المدارس السوفياتية طوال الخمسة عشر سنة الماضية يجب أن تفهم بالدرجة الاولى من حيث هي استجابة للظروف الجديدة فقد أدت المناهج في سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ خدمة عظيمة الى هذا العهد تلك هي بث العقيدة والمبادئ الثورية ، وتربية جيل موال الى النظام الجديد . أما وقد ظهرت الآن مطالب جديدة وملحة ، فعلى المدرسة أن تلبىها . لقد طلب منها أن تساعد في المشاركة في تنفيذ منهج انشائي لم يسبق له مثيل ، هذا المنهج الذي وضع لان يجعل الاتحاد السوفياتي قويا وقادرا على البقاء في عالم يضم له العداء . وفي أثناء ذلك حورت كثير من خطط ذلك العهد الاول وترك بعضها . ولم تكن هذه القضايا في طبيعتها تربوية الا في معنى ضيق جدا . فهي في قراراتها قضايا سياسية على جانب عظيم جدا من الاهمية .

(٦)

وبينما كان الزعماء السوفياتيون يناضلون في سبيل بلوغ الاهداف التي وضع من أجلها مشروع الخمس سنوات الاول «

أدركو ، والاتلم يحز قلوبهم تأخر روسية العام فى النواحي الثقافية والصناعية . وقد صرحو بذلك مرارا عديدة . وحقا أن الصحف الروسية والمجلات والكتب والنشرات كانت جميعها تضيح بهذا العويل المتصاعد طوال مدة الكفاح من أجل تعزيز النظام الثوروى . ولكن الزعماء لم يدركو حقيقة عجز الحكم السابق الذى طالما أتهم بالتقصير إلا عند القيام بالانشاء والبناء . فقد وجدو أن المواطنين الروس قاطبة متخلفون كثيرا عن شعوب غربى اوروبا التى قد سبقتهم فى مضمار التقدم كل السبق ، قد سبقتهم فى معرفة المعلومات الاساسية التى لا بد منها فى بناء دولة صناعية قوية . وقد قدر ستالين فى سنة ١٩٣١ مقدار هذا التخلف الزمنى ، وجعله يتراوح بين ٥٠ سنة الى قرن كامل . وقال متنبها : « علينا أن نقطع هذه المسافة الزمنية فى عشر سنوات ، والا فسنسحق » . وفى سنة ١٩٤١ عبرت الجيوش النازية الحدود الروسية وتقدمت حتى وصلت ستالينغراد .

لقد وجه النظام التربوى جهوده تدريجيا « لاتقان المعلومات »
Mastery of Knowledge . ونجد أنه بينما أجمع المعلمون

الروسيون فى سنة ١٩٢٩ على أن مهمتهم الاساسية هى أن يعينوا الدولة فى بلوغ أهداف « مشروع الخمس سنوات الاول » أتفقوا فى سنة

١٩٣٨ على أن مسؤوليتهم الكبرى هي مساعدة الناشئة في اتقان مواضيع جافة كاللغة الروسية والرياضيات والعلوم وفن الصناعة والجغرافية والتاريخ . فأعيد النظر في تدريسها ، وأعدت الكتب المقررة اعدادا جيدا ، ووضعت في كل حقل من حقول المواضيع المختلفة سياقات (روابط منطقية) منظمة للتعليم ، وأدخلت الامتحانات وأستعملت الدرجات بكل شدة ودقة ، ووضعت مناهج دراسية منظمة تشبه في صلابتها وقساوتها وشيوعها المناهج الفرنسية؛ وأقر قسميرو الشعوب السوفياتية في جمهوريات الاتحاد السوفياتي الاشتراكي في الواحد والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٤١ قرارا يتعلق بتحسين نوعية الدراسة يقضى باجراء « امتحانات خاصة في نهاية الصفوف الرابعة والسابعة ، وامتحانات نهائية للحصول على شهادة الدبلوما في ختام الصف العاشر » . وهذا الامتحان النهائي « تقوم به صفوة مختارة من المعلمين » .

سلطة المعلمين :-

ان هذه التبدلات استبدعت ابطال بعض التأكيدات الاولى .
فالتربية السياسية الى كانت قبلا مركز اهتمام المدارس قد أوقفت عملها بعد أن نجحت في بث العقائد الثورية بين الطلاب . حتى أن

اللجنة المركزية « للحزب الشيوعي » أقرت في شهر نيسان سنة ١٩٣٤ إلغاء التربية السياسية في المدارس الأولية والمتوسطة ، وقللت في الوقت نفسه كثيرا من أهمية الدور الذي تحكيه التربية السياسية في الصفوف العليا من الدراسة الثانوية والمعاهد العالية ، وضعف التأكيد أيضا على « العمل الاجتماعي » Social Work والاعمال اللاصفية جدا . ومع هذا فليس ذلك معناه ، كما أستنتج بعض المراقبين ، أن النقاشية في روسية يتزعمون وهم جهلاء بآراء الثورة ومبادئها ، وإنما معناه أن هذه الآراء تظهر الآن في حياة البلاد العامة ، وفي معاهدها ، وفي مظاهر المدرسة كلها لا في ناحية واحدة منها . وفي الوقت الذي ظهر التأكيد على إتقان المعلومات أعيدت سلطة المعلم . وكان أول ظهورها في أوائل سنة ١٩٣٠ . والصحافة الروسية تحتوى على اشارات كثيرة الى « التهتك » Hooliganism الذي يقوم به الطلاب في المدارس والمحلات العامة ، والى حاجتهم الى الانتظام والضبط . وقد شنت حملة شعواء لتصليح هذه المساويء والشرور . وأهتم حتى أن قيادة الحزب العليا قد طالبت في أصلح الوضع . وأهتم ستالين نفسه بالامر . ولأجل أن يشعر الأطفال بضرورة احترام سلطة المعلم ذهب الجنرال بوديني سنة ١٩٣٥ زعيم خيالة القوقاز الشهير

والذى يكاد يكون أسطورة من الاساطير الى المدارس يستحثهم ويتركذ في نفوسهم معانى النظام . ولا بد من الاشارة الى أن هذا « التهتك » الذى يقوم به الطلاب لم يكن شيئا جديدا فى الاتحاد السوفياتى . ان كل من قرأ « يوميات طالب شيوعى » لمؤلفه او كنيوف Ognov هذه اليوميات التى يصف بها الاحوال التى كانت سائدة فى سنة ١٩٢٣ - ١٩٢٤ يدرك أن طلاب المدارس فى سنة ١٩٢٠ كانوا أحيانا يلقون الرعب فى نفوس معلمهم . غير أن سلوكا كهذا كان يرمى فى تلك الايام الى خدمة الثورة وارغام المعلمين على أن يخضعوا الى ارادتها . فلما ظهر فى سنة ١٩٣٠ جيل من المعلمين موال نوعاما الى النظام الجديد ويعتمد عليهم فى تربية الناشئة أعيدت لهم سلطتهم ، ووجب أن يتمتعوا بها .

وأدت إعادة السلطة الى المعلم بطبيعة الحال الى تبدل فى موقف التلميذ نفسه . فقد أصبح واجبه الاول الدراسة والتعلم . فلم يعد يشعر أن ادارة المدرسة التى هو فيها أو أصلح لجال أبويه ، أو ادارة شؤون الحى الذى يسكن فيه ، بل حتى المساعدة المباشرة التى يقدمها فى سبيل انجاز مشاريع الخمس سنوات احدى مسؤولياته . فقد ألبس فى سنة ١٩٣٨ بدلة خاصة ، ووضع بعدها تحت المراقبة

الشديدة المتزايدة سواء أكان في البيت أم في المدرسة أم في الشارع ،
وعد مسؤولا بوصفه فردا من الافراد عن نجاحه وفشله . وفي سنة
١٩٤٣ أُلغيت « المنافسة الاشتراكية » **Socialistic Competition**

في المدارس . وهى طريقة للدرس والعمل تنال بموجبها كل جماعة
معينة درجات اذا أتمت عملها ، وطلقت العقيدة التى كانت تذهب الى
القول بأنه « لا يوجد طلاب ضعفاء بل يوجد معلمون ضعفاء » ، وأخذت
المدرسة على عاتقها أيضا مسؤولية تنظيم حياة الطلاب خارج المدرسة ؛
فقد وضع التلاميذ تحت اشراف المعلمين وسيطرتهم اثناء وجودهم فى
السينمات والمسارح وغيرها من وسائل التسلية ، وجعلت الوظائف
البيتية قسما اساسيا لا يتجزأ من طريقة التعليم . والخلاصة يحاول
المنهج الدراسى أن يفرض على الفتيان التعلم ، وأن يجعلهم ملمين
بالمعلومات المدرسية المأما جيدا ، يحاول أن يفعل هذا بشكل لم يسبق
له مثيل . كل ذلك لاجل بلوغ هدف تاريخى عظيم ، وهو جعل
روسية فى طليعة الامم الاخرى وجعل الاطفال يفهمون ما تريده
روسية منهم .

ويتضح التبدل الذى طرأ على حالة الطالب جيدا من القواعد
الآتية التى وضعت لاطفال المدارس ، والتى قد أقرها قومسيرو الشعوب

السوفياتية في اليوم الثاني من شهر آب ١٩٤٣ :

يجب على كل تلميذ :

- ١ - ان يجتهد بعزم وجد في دروسه كيما يصبح مواطنا متعلما ومثقفا ، وكيما يخدم وطنه السوفياتي خدمة تامة .
- ٢ - ان يكون مجتهدا في دروسه ، ومثابرا على دوامه ، وأن لا يتأخر عن حضور صفه في الوقت المعين .
- ٣ - ان يطيع اوامر مدير المدرسة والمعلمين اطاعة عمياء .
- ٤ - ان يجلب معه الى المدرسة جميع الكتب والقرطاسية ، وان يهيئ كل شيء قبل دخول المعلم الصف .
- ٥ - ان يظهر في المدرسة نظيف الجسم ، مرتب الشعر ، أنيق اللبس .
- ٦ - ان يحافظ على نظافة رحلته وانتظامها .
- ٧ - وان يدخل الصف ويجلس في محله حالما يسمع دق الجرس ، وان لا يدخل الصف أو يتركه الا بعد أن يستأذن المعلم .
- ٨ - ان يجلس منتصب القامة طوال مدة الدرس ؛ فلا يتكى على الرحلة بمرفقيه ، ولا يتمدد في مقعده ، وان يكون شديد الانتباه الى ايضاحات المعلم وأجوبة التلاميذ ؛ وان لا يتكلم أو يعبت مع غيره .

٩ - ان يقف اذا ما دخل المعلم أو المدير الصف وخرج منه .

١٠ - أن ينهض ويقف معتدلا عند الاستجواب ، وان لا يجلس

الا بعد استئذان المعلم ، وان يرفع يده ان أراد أن يجيب عن سؤال ،
أو رغب في عرض قضية .

١١ - أن يسجل عنده جميع الوظائف التي يعطيها المعلم للدرس
القادم ، وان يعرضها على والديه ، وأن يحلها بنفسه دون الاستعانة
بأحد .

١٢ - ان يحترم مديره ومعلميه ، وان يحييهم عندما يمرون في
الشارع بانحناء مؤدبة ، وأن يرفع الاولاد قبعاتهم اجلالا لهم .

١٣ - ان يكون مؤدبا مع من هم أكبر سنا منه ، وأن يسلك
في المدرسة والشارع والمحلات العامة سلوكا مؤدبا وصحيحا .

١٤ - ان يتجنب استعمال الكلمات البذيئة ، ويتجنب التدخين
والمقامرة .

١٥ - أن يعنى بأثاث المدرسة ولوازمها وبنائيتها وان يحافظ
جيذا على أشيائه الخاصة به ولغيره .

١٦ - ان يكون لطيفا مع الاطفال الصغار والكهول والضعفاء
والمرضى عطوفا عليهم ، وأن يخصصهم بمقعده في المركبات ، ويفسح لهم

الطريق الصالح في الشارع ، وان يساعدهم بكل صورة ممكنة .

١٧ - ان يطيع والديه ، وان يمد يد المساعدة في العناية

بأخوته الصغار وأخواته الصغيرات .

١٨ - ان يحافظ على نظافة البيت ، بترتيب ملابسه وأحذيته

وفراشه وتنظيمها .

١٩ - ان يحمل هويته دائما ، وان يحافظ عليها كل المحافظة ،

وأن يختص بها وحده ولا يقدمها لغيره من الاطفال، ولكن يقدمها

بطلب من مدير المدرسة أو المعلم .

٢٠ - ان يجعل الشرف الذي تناله المدرسة ، أو يناله الصف

الذي ينتسب اليه شرفه .

ان التلميذ الذي يخالف هذه القواعد يكون عرضة للعقاب ،

وحتى الطرد من المدرسة .

لقد أدت هذه القواعد جميعها الى تبدل هائل في دور « الرواد »

والشيوعيين الفتيان **Young Communists** ووظائفهم في المدارس .

فقد قامت هاتان المؤسساتان تحت ارشاد من هم أعلى درجة منهم في

« الحزب الشيوعي » ، في تطبيق جميع الاصلاحات التي سبق أن

ذكرناها . ففي سنة ١٩٣٦ وجه « الرواد » جهودهم الى مساعدة

المدير والمعلمين في تنفيذها ، وفي تحسين نوعية عمل التلاميذ والمدرسين .
وقد حضر المؤلف في السنة نفسها اجتماعا « للرواد » لانتخاب ممثلهم
في احدى مدارس موسكو . وطلب من كل مرشح للانتخابات أن يبين
درجته المدرسية . ويظهر أن الدرجات هي المؤهلات العظيمة للانتخابات
فمن كانت درجاته واطنة وقبل بعاصفة من الهزم والسخرية . ومن
كانت درجاته عالية ، أى من يحصل على درجة « ممتاز » أو « جيد »
في جميع الدروس لذلك الفصل الدراسى تعلق صورته على لوحة
اعلانات المدرسة طوال الفصل الجديد .

عصبة الشيوعيين الفتيان :-

وظهر هذا التوجيه الجديد واضحا فى قرار « اللجنة المركزية
لعصبة الشيوعيين الفتيان » الذى أتخذ فى شهر نيسان سنة ١٩٤٤ ،
أى فى اجتماعها الثانى عشر . ومما جاء فيه أن « الواجب الرئيس
لهيئات عصبة الشيوعيين الفتيان فى المدارس هو مساعدة المعلم » .
ولاجل بلوغ هذا الهدف ينص القرار على ما يأتى : « يستطيع المعلمون
أن يحضرو فى جميع اجتماعات عصبة الشيوعيين الفتيان المدرسية ،
وأن يشاركوهم فى أعمالهم . ويلزم أخذ رأى المعلمين عند الحصول
على اعضاء لعصبة الشيوعيين الفتيان » . ويبين القرار ايضا « أن لمدير

المدرسة الحق في إيقاف تنفيذ أى قرار مغلوط قد تتخذه هيئة عصابة الشيوعيين الفتيان ، وان يقترح على عصابة الشيوعيين الفتيان في تلك المنطقة أن تستعمل حق الفيتو لتوقيف قراراتها » . ولأجل أن تكون قرارات هذا الاجتماع ذات فائدة تقدم اللجنة المركزية المقترحات الآتية:

- ١ - يجب على هيئات « عصابة الشيوعيين الفتيان » أن تساعد المدير والمعلمين على محافظة النظام والانتظام داخل المدرسة .
- ٢ - تمنع هيئات « عصابة الشيوعيين الفتيان » وتلاميذها من التدخل في أمور المعلمين ، وتجنب انتقادهم في اجتماعاتها ومؤتمراتها ونشراتها .
- ٣ - تمنع هيئات « عصابة الشيوعيين الفتيان » من اخراج التلاميذ من الصفوف بقصد الاجتماع .
- ٤ - تمنح هيئات « عصابة الشيوعيين الفتيان » في المدينة أو المقاطعة أو المنطقة أو الجهورية بدراسة أعمال المدرسة مستقلة ان هي لم تحصل على إذن من الدوائر التعليمية العامة الخاصة بكل واحدة منها .

ان روح هذا القرار بعيدة كل البعد عن الاحوال التي كانت

ظاهرة فى المدارس السوفياتية قبل الابتداء بالمنهاج الانشائى العظيم .
ومع هذا كله يجب أن نتذكر أن اتجاهات « الشيوعيين الفتيان » و
« الرواد » يمكن أن تتبدل بسهولة وبصورة جوهرية فى أى وقت
كان . وما لاشك فيه أن كل عمل يقوم به الحزب الشيوعى للاتحاد
السوفياتى يصبح نهائيا وحاسما . أن سلطة المعلم اليوم محدودة ،
كما كانت فى الماضى ، من قبل سياسة الحزب . وما هى فى الحقيقة
الاهبة من هبات الحزب نفسه يفضيها على المعلم متى شاء وانى شاء .

(٧)

لقد تحولت التربية السوفياتية كثيرا طوال السنوات الاخيرة .
تحورت فى مادتها ولونها . وفى أهدافها وميولها البعيدة ، نتيجة
لتطور الحكم فيها ، وتبدل مركزها بين الامم ، وتفتح مستقبل جديد
ملىء بالآمال فيها . ويجدر بنا نحن فى هذا الصدد أن نشير الى
التأثير الذى حدث فى المدارس من جراء القضاء على الطبقة البورجوازية
القديمة ، وتقوية روابط العائلة ، واذكاء الروح الوطنية ، وتكوين
القوة العسكرية ، وتقوية أواصر الصداقة مع الدول الديمقراطية
الغربية ، وغرس الايمان فى حكمة ستالين وصلاحه .

القضاء على الطبقة البورجوازية :-

كان « الناس الاولون » ، أى أعضاء الطبقات البورجوازية وأصحاب الامتيازات القديمة ضحايا تفريق قاس ومؤلم بعد الثورة . فقد صرف الشيوعيون جهودا متواصلة لفصل أطفال « الطبقة البورجوازية من مؤسسات التعليم العالى كافة ، والتعليمات فى التفريق وان أمكن التحايل عليها وتجنبها بطرق مختلفة الا انها على العموم كانت ذات تأثير كبير . ومع هذا فقد أصبحت هذه الطبقات بمرور الزمن ضعيفة لدرجة انها لم تكون خطرا على النظام الثورى . وظهرت أيضا طبقة مهنية جديدة تحدرت بصورة عامة من العناصر الاجتماعية الموالية للثورة ، فنتج عن هذا الوضع اللاتحة الآتية التى أعدها مجلس قومسيرى الشعوب السوفياتية فى شهر كانون الاول ١٩٣٥ : « ان التعليمات التى منحت قسما من أولاد الطبقات البورجوازية والمحرومة من الحقوق المدنية من التعليم العالى تلقى نظرا لعدم وجود حاجة الى هذا التفريق . ويسمح من الآن فصاعدا دخول جميع الطلاب الذين ينجحون فى امتحان الدخول الى المعاهد العالية بقض النظر عن أصولهم الاجتماعية أو مراكز أوليائهم . »

ان الحاق « معاهد العمال » (Workers' Faculties) بنظام

التعليم كان استجابة ملحة الى الطبقة الجديدة فى بناء المجتمع السوفياتى .
 وظهر تبدل آخر فى النظام التربوى حير كثيرا من المراقبين
 الاجانب ألا وهو التدابير الجديدة التى اتخذت لمعالجة رواتب الطلاب
 وأجورهم الدراسية فى المراحل العليا للنظام التعليمى . وكان
 التعليم فى العرف الأمريكى مجانيا قبل سنة ١٩٤٠ . وكانت الحكومة
 علاوة على ذلك تدفع رواتب شهرية الى أكثرية طلاب الجامعات
 والمدارس الصناعية العالية . الا أن الرواتب الشهرية قد ألغيت ابتداء
 من السنة الدراسية لسنة ١٩٤١ - ١٩٤٢ باستثناء الطلاب المعوزين
 المعروفين بتفوقهم العلمى ، والطلاب الذين يعدون أنفسهم الى مهن مهمة
 جدا . وفرض أيضا نظام الاجور الدراسية حتى تناول السنتين
 الاخيرتين من المدرسة الثانوية ، وقد برر المربون موقفهم هذا فى
 حينه ، وأعزوه الى ازدياد مصاريف الدفاع ، وتحسين أحوال الشعب
 الاقتصادية ، ان هذا التبدل الجوهرى فى السياسة قد يرجع
 قسم منه الى حقيقة واحدة وهو أن التعليم المجانى والرواتب الشهرية
 قد بلغت أهدافها الاساسية : لقد خدمت فكرة تحويل أصول الطبقات
 المهنية والثقافة تحويرا عظيما .

تقوية روابط العائلة :-

وصارت العائلة تحت زعامة ستالين المنبع العظيم لقوة الامة ،
بينما عدت فى أوائل الثورة مؤسسة « بورجوازية » وكانت
موضع السخرية . واذا ما أريد أن تشاد صروح الاشتراكية فى
قطر واحد ، وخاصة فى قطر واسع غير مستثمر تحيط به دول معادية ،
فيجب أن نعمل ما فى وسعنا للمحافظة على معدل الولادات ، وان
أمكن زيادته . وصارت التدابير لتحقيق هذه الغاية تتلو الواحدة
بعد الاخرى . فعد الاسقاط سنة ١٩٣٩ جريمة ، وصار الطلاق
صعبا جدا ، وربى الناس على فضائل الولاء الزوجى والعلاقات
العائلية المثينة ، وشجعت العائلات الكبيرة فمنحت مساعدات مالية
وأعطيت جوائز الشرف .

وهذا معناه طبعاً تبدل فى النظرة الاولى عن دور المرأة فى
المجتمع السوفياتى . فقد عدت وظيفة الامومة وظيفتها الاولى .
ونتج عن هذا تفريق متزايد فى تربية البنين والبنات ، ذلك
التفريق الذى وصل ذروته فى سنة ١٩٤٣ ، حيث قد ألغت الحكومة
التعليم المختلط فى المدن الكبيرة التى تستطيع أن تحتفظ بنظامين
مدرسين مستقلين . ففى هذه المدن يربى اليوم البنون والبنات فى

مدارس خاصة من السن السابعة الى السابعة عشر - وهى مدة التعليم الابتدائى والثانوى . وتتلقى البنات دروسا خاصة فى الفلسفة والصحة وعلم النفس والتدبير المنزلى وتربية الطفل . أما البنون فيجربون أعدادهم للقيام بواجباتهم فى المستقبل بوصفهم أعضاء فى الجيش الأحمر ، وهو موضوع سنتناول دراسته بعدئذ .

اذكاء الروح الوطنية :-

وأدى القرار القاضى بتأسيس الاشتراكية فى قطر واحد بصورة حتمية وسريعة الى انماء الروح الوطنية ، وتسخيف الفكرة الاولى التى كانت تذهب الى أن محبة الوطن تخدم الاستعمار . فكلمة « الوطن » (Fatherland) التى منع استعمالها سابقا لم تظهر فى كتابات المؤلفين السوفييتين الا فى أوائل سنة ١٩٣٠ . وأعيد النظر فى تأليف كتب التاريخ المقررة فى المدارس ، واحتل ماضى روسية منزلة عظيمة ، فمجد هذا الماضى وقُدس . ولم يعد الكتاب يصورون تاريخ روسية القديم ، أى تاريخها قبل الثورة ، تصورا قاتما مغبرا أحسن ما فيه كفاح أبطال الثورات الشعبية ضد الطغيان من أيام ستينكا رازين (Stenka Razin) الى لينين ، بل ان كتب التاريخ الحديث على عكس ذلك ، تذكر أعمالا جساما وتقدم شخصيات

عظيمة في كل صفحة من صفحاتها تقريبا . و في الوقت الحاضر لم يحذف من كتب التاريخ شخص ، سواء أكان هذا الشخص قصيرا أم فلاحا ان كان قد ساهم لدرجة كبيرة في نشوء المدينة الروسية وزاد في قوة الامبراطورية من قادة وجنود ومكتشفين ، وثوريين وأدباء وفنانين ومعلمين وعلماء طبيعيين : أقول لم يحذف شخص سوى تروتسكى وبوخارين وزينوفيف الذين عارضو الزعامة الحاضرة . وحتى ان أيفان الفظيع قد وضع في قاعة الابطال . فان هذا الرجل الذي قد خرق الوصايا الدينية العشرة وقتل ابنه بيده وهو في ثورة نفسية عنيفة قد فسرت أعماله الرئيسية بأنها قد كانت صحيحة : ولماذا ؟ لانه قد صد عاديات التتر والأتراك ، ووسع حدود الانبراطورية ، وحسن نوعية الادارة ، وجعل البلاد قوية في كل ناحية من نواحيها . ان كتاب « تاريخ الاتحاد السوفياتي » المقرر الآن في الصف الثامن يختتم أعمال هذا الرجل بالعبارة الآتية : « توفي ايفان بعد عام واحد من نهاية حرب ١٥٨٤ . لقد كان ايفان رجلا موهوبا وحكيما ، ومثقفا في زمانه ؛ أحب وعرف كيف يكتب . وكان متوقد الذهن ، فوضع أهدافه السياسية ، الداخلية والخارجية بصورة صحيحة ، وطبقها بثبات وصبر . أما ادراكه ضرورة

السيطرة على شواطئ بحر البلطيق فتكشف لنا عن خيال خصب ونظر
ثاقب». ولقد وضعت ثورة سنة ١٩١٧ بصورة واضحة في مجرى
التاريخ الروسى .

قال فى . بى . بوتمكين (١) قومسير التعليم فى الاتحاد
السوفيأتى فى شهر شباط ١٩٤٣: « ان هدف المدرسة الادبى
والسياسى هو تربية التلاميذ تربية وطنية » . وليس بكاف أن يحب
الانسان وطنه بل يجب أن يعد نفسه عن عقيدة صحيحة بأن
« يموت فى سبيله » . ان غرس الشعور الوطنى هو « أول واجبات
معلمنا السوفيأتى » . وقد وجهت جميع فعاليات المنهج الدراسى
لبلوغ هذه الغاية ، حتى الفنون الجميلة تدرس لتؤدى قسطها فى
سبيل بث الروح الوطنية . وتتأرجح الاناشيد الموضوعة الى الشباب فى
الاعم الاغلب بروح وطنية عالية . وأحب نشيد الى قلوب الطلاب
والطالبات هو « نشيد الوطن » الذى وضع سنة ١٩٣٦ . ان كل
طفل فى الاتحاد السوفيأتى يحفظ هذا النشيد الذى ينتهى بهذا

(١) لقد توفى فلاديمير بوتمكين قبل أشهر فى موسكو وعمره
٥٣ سنة . وقد كان رئيس أكاديمية العلوم التربوية . وتقلد منصب
وكيل وزارة الخارجية من ١٩٣٧-١٩٤٠ .

المترجمان

الشرط : « لا توجد بلاد يستطيع أن يتنفس فيها الانسان بحرية الا الاتحاد السوفياتى » .

واجتمع فى شهر شباط ١٩٤٣ مربو الروس وكتابهم
 لدراسة قضية وضع كتب خاصة بالاطفال . فتباحثو فى الموضوع .
 وكان من بين المتكلمين بوتكين ، وتولستوى ، ومارشاك وغيرهم .
 وذكرت المجلات التربوية السوفياتية ان خلاصة المحادثات كانت فيما
 يأتى : « يجب أن لا تكون كتب الاطفال فنية ، وصادة ، ومخلصة
 حسب ، بل يجب أن تبعث فى الاطفال روح العمل . ان على
 مؤلفى كتب الاطفال مسؤولية تربية الجيل الناشئ . هذا الجيل الذى
 يجب أن يعيش طوال الحرب الحاضرة ، لينال الظفر ، ثم
 يشترك فى الواجب العظيم لاعادة بناء وطنه الجريح . ان أول
 واجب من الواجبات التى تقع على هؤلاء المؤلفين هى أن يجعلو كتب
 الاطفال وطنية فى مادتها الى أقصى ما تذهب اليه الوطنية . ويجب أن
 تجد مواضيع الشجاعة والبطولة والشعور الوطنى السامى والحق
 المتقد تعبيرا واضحا لها فى كتب الاطفال » . ومما هو جدير بالذكر
 ان الحرب العالمية الثانية لم يطلقو عليها اسم « الحرب ضد
 الفاشستية » أو « حرب الحريات الاربع » أو حتى « حرب الشعوب »

وانما اطلقو عليها « الحرب الوطنية الكبرى » .

قوة روسية العسكرية :-

وتتكون الآن فكرة جديدة عن روسية ، فكرة تقول بأنها زعيمة الانسانية . كل ذلك نتيجة لكفاحها العنيف ، ونتيجة للآلام والمصائب التي حلت بها في السنوات الاخيرة . وليست هذه الزعامة متأتية عن ثورة عالمية ، بل انها قد تكونت بفعل قوتها العسكرية الهائلة ، وما حققت هذه من اعمال جسيمة وانتصارات هائلة . وهذه الفكرة الجديدة تجمع بين العناصر القديمة والجديدة . لقد كان للانتصارات العظيمة التي أحرزها النظام السوفياتي والجيش السوفياتي والشعوب السوفياتية تأثير عظيم في التفكير والعواطف . فهذا يؤمكن يتكلم عن « وطننا العظيم » ويقول « بأنه قد تحمل أشد ضربات العصابات الالمانية الفاشيستية » ، وانه أحرز « النصر للعالم كله » . ويستشهد الكتاب من حين لآخر بتاريخهم الماضي وما فيه من تنبؤات . فكتب التاريخ السوفياتية تستشهد بالعبارة الآتية التي تنبأ بها « فيساريان بلنسكي » زعيم النقاد الروس قبل أكثر من قرن : « اننا نغبط أحفادنا وأولاد أحفادنا الذين سي شاهدون روسية سنة ١٩٤٠ في طليعة العالم المتقدم ، تقدم للعلم والفن القوانين ، وتحصل على ثناء »

عاطر من الانسانية النيرة الواعية جمعا . « وترى المربين يطبعون الجيل الناشئ بهذا الانطباع ، فيجعلون الاطفال يدركون أن روسية قد بلغت هذا الهدف ، وانها اليوم « أوسع أمم العالم وأغناها وأكثرها تقدما وأعظمها قوة » .

ويتصل أمر تكوين القوة العسكرية مع انماء الروح الوطنية كل الاتصال . فلقد اتخذت عدة تدابير للوصول الى هذا الهدف . فأكد التاريخ على فضائل المعاريين والقواد العظماء السالفين وانتصاراتهم . وامتد تدريس الدراسات العسكرية الى الصف الرابع بعد أن كانت سابقا مقتصرة على السنتين الاخيرتين من المدرسة الثانوية . ولعل الهدف الاساسي من الغاء التعليم المختلط هو اعداد الشباب للدخول في خدمة الجيش الاحمر . أضيف الى هذا ان الحكومة الروسية قد قامت بتأسيس مدارس داخلية خاصة مدة الدراسة فيها عشر سنوات وذلك لتدريب البنين ليكونو ضباطا في قوة البلاد المسلحة ابتداء من السنة السابعة . فمثلا نجد أن المدارس في « سوفو روف » تدرب البنين للخدمة في الجيش الاحمر ، والمدارس في « أوشاكوف » و « ناخيموف » تدرب البنين للخدمة في الاسطول الاحمر . ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد ان الحكومة قد قامت

بتأليف لجنتين نفسييتين فى سنة ١٩٤٣ وذلك حبا فى اكتشاف
أحسن الطرق التى بها تنمى الشجاعة ويفرس حب النظام فى
الناشئة . ومما لا شك فيه هوان الروس يضعون اليوم منهجا
دقيقا ، بعيد المدى غرضه المحافظة على قوة البلاد العسكرية وازديادها .
سياسة روسية الخارجية :-

ولما تقرر ان تؤسس الاشتراكية فى بلد واحد اتجهت السياسة
الخارجية اتجاها جديدا . فابتعدت الشيوعية العالمية عن فكرة الثورة
العالمية حينما استولى ستالين على الحكم . ووضعت السياسة الروسية
الخارجية على أسس صحيحة فى كل مكان ، ونظمت القوى الموالية الى
روسية فى الاقطار الاخرى . وسرعان ما عبر هذا التوجيه الجديد
عن نفسه فى المنهج الدراسى . فقد أكد مؤلف كتاب « تاريخ الاتحاد
السوفياتى » المطبوع سنة ١٩٣٧ والمقرر لطلاب الصفين الثالث
والرابع على « ابرام سلسلة معاهدات سلمية مع الاقطار الاخرى » .
ويقول المؤلف فى كتابه « ان العمال والفلاحين والطبقات المثقفة
فى الاقطار الاخرى يكونون الآن جبهة متعددة متزايدة للكفاح ضد
المؤامرات الفاشستية لمهاجمة الاتحاد السوفياتى » . وقد أدى
هذا الاتجاه بطبيعة الحال أثناء الحرب الى تفسير الديمقراطية

الغربية تفسيراً جديداً . فقد كتب المؤرخ الروسي الاستاذ أ . بانكراتوف سنة ١٩٤٣ مقالة فسر ارشاد المدرسين عنوانها « تدريس التاريخ في مدارسنا اليوم » نقطف منها العبارة الآتية التي تعبر عن هذا الاتجاه الجديد :

« يعطى مدرسو التاريخ السوفياتي اهتماماً خاصاً وبصورة مفصلة الى الدستور الأمريكى من سنة ١٧٨٧ - ١٧٨٩ ، وإلى الدستور الفرنسى من سنة ١٧٩١ - ١٧٩٣ ، وإلى الكفاح فى سبيل ديمقراطية البرلمان الانكليزى بواسطة اصلاحات سنة ١٨٣٢ ، ١٨٦٧ ، ١٨٨٤ ، وإلى تشريعات العمال فى الاقطار الاوروبية الكبيرة ولاسيما انكلترة وفرنسة . وتستطيع أن ترىنا هذه المواد الدراسية لماذا ان شعوب الاقطار الديمقراطية المحبة للسلام ، وخاصة انكلترة والولايات المتحدة الامريكية ، تحاربان الآن جنبا الى جنب مع الاتحاد السوفياتي فى سبيل الحرية والديمقراطية ضد البربرية الهتلرية . »

« ويقدم تاريخ العلاقات بينروسية والولايات المتحدة صورة جميلة . فهذه العلاقات ذات مصالح مشتركة بين القطرين بدأت « بالحياد المسلح » فى عهد كاترين الثانية واستمرت على يد عناصر المجتمع الروسى الحرة طوال حكم الملك اسكندر الاول (المراسلات

بين الملك اسكندر الاول وتوماس جيفرسن ؛ دراسة الدستور
الامريكى من قبل سيرانسكى وغيره الخ (٠٠٠) وخاصة أيام
الحرب الاهلية فى الولايات المتحدة حينما تم تحرير العبيد فى روسية
فى الوقت الذى كانت الولايات الامريكية الشمالية تخوض كفاحا
شديدا ضد الولايات الجنوبية التى تمسكت باسترقاق العبيد . وقد
وقفت الدبلوماسية الروسية وراء حكومة الاتحاد الامريكية ، واحترمت
وحدة الشعب الامريكى . وقد ساعد بيع شبه جزيرة السكا الى الولايات
المتحدة سنة ١٨٦٧ فى تقوية أواصر الصداقة بين القطرين » .

ستالين الحكيم :-

ومن أبرز حوادث هذه المدة طبعا هو ظهور ستالين على مسرح
السياسة الروسية ، ولقد سألت فى سنة ١٩٢٩ مرييا روسيا
معروفا وأحد أعضاء الحزب الشيوعى رأيه فى ستالين ، وبعد
تفكير قليل أجاب عن طيب خاطر باننا « نعتقد أنه فوق المتوسط » .
ويحتل اليوم ابن الاسكافى الرفي من أعالي جورجيه مركزا لا يضاهيه
أحد فى تاريخ روسية . فان المناهج الدراسية جميعها ، من
مناهج مدارس الحضانة الى مناهج الجامعات ، تظهر هذا الرجل
بمظهر البطل العظيم ، ومثال الحكمة والخير ؛ وان جميع
المؤسسات التربوية المعنية فى توجيه عقول الناشئة تظهره بكونه

الرجل الذى وضع جميع الخطط التى أدت الى الانتصارات العسكرية
والمدينة التى أحرزتها روسية .

ولا تشير كتب التاريخ المقررة الى الجهود التى بذلها المعارضون
لزعماء الثورة اية اشارة . فتروتسكى وزينوفيف وكامينيف مثلاً هم
« خونة » لانهم « جاهدو فى سبيل عرقلة بناء الصناعة الاشتراكية » .
وبينما تنصب اللعنة على كل من بوخارين وزيكوف لانهما « عارضا
مشروع الخمس سنوات » نجد من جهة أخرى أن ستالين يصور الى
الناس بأنه دائماً على حق ؛ ولقد أخذ اسمه يغطى على اسم لينين شيئاً
فشيئاً . حتى ان صورة ستالين تظهر فى التقويم السوفياتى لسنة
١٩٤٥ أربع مرات ، وصورة لينين ثلاث مرات ، وصورة ستالين مشتركا
مع غيره خمس مرات ، بينما تظهر صورة لينين مرتين فقط . ويشتركان
مرتين فى صورة واحدة . وخلاصة القول ان « الشعب السوفياتى يجعل
حاضره ومستقبله وانتصاراته وجميع أعماله مقرونة باسم ستالين » . أما
كتاب التاريخ المقرر فى الصف العاشر فيصفه بأنه « زعيم الشعوب
السوفياتية ، وواضع الدستور ، والاب البار ، والصديق المحبوب ،
الرفيق ستالين » .

والخلاصة : يجب أن نشير الى ثلاثة أمور مهمة فى التعليم الروسى

كانت تعمل باستمرار من أول سنى الثورة حتى الوقت الحاضر ، هذه الامور التى يعتقد زعماء السوفييت بانها مصدر قوتهم الرئيسة وهى : العلم ، والمساواة بين الناس ، والاشتراكية .

ويؤمن اليوم بتمكن قومصير التعليم ، كما آمن أسلافه من قبل « ايماننا جازما بقوة العلم الابداعية » . واهتمامه اليوم فى السيطرة على أدوات المعرفة معناه قبل كل شئ السيطرة على العلم وفى الصناعة (تكنولوجيا) . وتعنى المناهج عناية خاصة فى تدريس العلوم تفوق عناية المدارس الصناعية . فالمناهج تتطلب دراستها دراسة واسعة منظمة . ولم تؤثر مقتضيات الحرب فى تدريب العلماء والمهندسين ، فلقد عفى الشبان الموهوبون والشباب الموهوبات من الخدمة العسكرية فى أيام الكفاح السود ، فقد طلب منهم أن يلازمو دراساتهم ويتعكفو على ابحاثهم ، حتى لقد ازداد عدد الدرجات العلمية والصناعية التى منحت للمتخرجين طوال سنى الحرب زيادة عظيمة .

وقد ازداد اهتمام التربية فى مسألة المساواة بين ابناء الشعوب السوفياتية سنة بعد أخرى . وتفتخر كل مدرسة فى عدد ما تضمه من الاجناس المختلفة فى صفوفها ، وماتحريه من الثقافات المتباينة التى يمثلها الطلاب والتلاميذ . ويربى كل فتى تربية تدفعه لان يكون

فخورا ببنى قومه . ولا تسمح المدرسة للطلاب أن يظهر بمظهر
العداء العنصرى أو التعصب نحو طالب آخر مطلقا . فالكتب المدرسية
المقررة قد أولت هذه الناحية عنايتها ، لذلك فهى تشيد بذكر الاتحاد
السوفياتى وتقول انه عصبه « مكونة من ستين أمة وأكثر من الاقوام
والطوائف » ، وأنه « دولة متعددة القوميات ، لا تقوم على اضطهادها
بل على التعاون الاخرى ، وتوثيق أواصر الصداقة معها » .

وتقول الكتب المقررة ايضا ان « حكم الطبقات البورجوازية فى
إقطار العالم الأخرى يؤدى الى اضطهاد قومية من قبل قومية أخرى » . أما فى
« وطننا فان حقوق كل قومية تصان صيانة تامة » ، وان الدعوة
الى التفوق القومى أو العنصرى والكراعية أو العداء جريئة موجهة
ضد الدولة تستحق العقاب القانونى » . وتستشهد بأقوال
ستالين التى منها « ان الصداقة الموجودة بين شعوب الاتحاد
السوفياتى هى فتح عظيم ومهم ، وما دامت هذه الصداقة باقية
فان شعوب بلادنا ستبقى حرة لا تغلب » .

ولابد من القول بأن الروس العظماء الذين ساهمو فى تأسيس
الامبراطورية الروسية يتنعمون بالذكر الجميل ، ويوضعون موضع
التكريم والتقدير . وقد أوضح هذا الاتجاه المؤرخ السوفياتى

ايقان بولافين في مقالة عنوانها « روس يكافحون في سبيل حرية
 الشعوب السوفياتية » . فهو يقول ان عظماء الروس قد كونوا
 امبراطوريتهم العظيمة للمحافظة على الشعوب الضعيفة من هجمات
 اعدائها ؛ و « لقد حافظو على أمم غربي أوروبا من غزو المغول ،
 وحافظو على شعوب آسية من استعباد الملوك التتونيين . » أما
 فيما يتعلق بهجمات التتر فانه يقول « ان الكفاح الانساني الذي
 قامت به روسية أنقذ المدنية الاوروبية من خطر الشرق . ولاول مرة
 استطاعت روسية أن تلعب دورها التاريخي العام في هذا المضمار . »
 وهكذا أخذت « القبائل غير الروسية المجاورة تدرك رويدا رويدا ان
 الدولة الروسية هي حاميتهم الطبيعية من الاعداء الكثيرين المنبئين في
 كل مكان » . ويستشهد الكاتب لاجل دعم فكرته هذه عن روسية العظمى
 بوصفها زعيمة الامم بأقوال الزعماء الذين نبغوا من الاقليات القومية
 وبالأحرار العظماء الذين ظهروا في التاريخ الروسي أمثال راديشيف ،
 وبوشكين ، وبلنسكى ، وهيرتسين ، ودستوفسكى ،
 وتولستوى ، وغوركي . ومالينين وستالين الا خليفتان تاريخيتان
 لهؤلاء الرجال ، وممثلان صحيحان للشعب الروسي .
 أما المعاملة السيئة التي تعرضت لها العناصر غير الروسية فقد كانت

دائما نتيجة جهل النظام القيصري وقساوته . ان الروح السامية التى
ظهر بها « عظماء الروس » فى علاقاتهم مع الاقوام الروسية
الآخري قد انجلت أثناء الثورة البلشفية لسنة ١٩١٧ كأحسن ما
يكون .

ويزداد التأكيد اليوم على الاشتراكية كما ازداد قبلا فى
المدارس السوفياتية ، أى من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٠ . والثورة
العالمية قد تركت الآن طبعا واهملت ، غير ان الاشتراكية
لا تدرس كما لو كانت هدفا بعيد المنال - بل تدرس بأنها أمر قد تم
تحقيقه . وطالما تقول الكتب المدرسية المقررة « ان الاتحاد السوفياتى هو
أرض الاشتراكية » وانه « ليس فى العالم أجمع قطر اشتراكى
واحد غير الاتحاد السوفياتى » . وعليه فى « الاتحاد السوفياتى
وحده لا يستغل الانسان أخاء الانسان » و « لهذا السبب نحن نحب
بلادنا ونفخر بها » . وبالرغم من ديكتاتورية الحزب الشيوعى ،
وبالرغم من نكران الحرية السياسية انكارا عاما كما نعرفها فى
الولايات المتحدة فان المدارس السوفياتية تبحث فى النظام
السوفياتى ، باقتصادياته الاشتراكية ، ودوائر التصميم

وتحسبه « أعظم نظام ديمقراطى فى العالم » ، ذلك لانه يصون مصالح
أكثرية الشعب الساحقة ، فى حين ان كل ديمقراطية بورجوازية ما هى
الا ديمقراطية الاقلية الحاكمة « . ان المدارس السوفياتية تمجد حقاً
الحزب الشيوعى وتعدده باعث الاشتراكية وخالفها ، « وزعيم
آبائنا وامهاتنا وعمالنا وفلاحينا فى قضائه على حكم القيصر
والاقطاعيين والرأسماليين » . وتظهر المدارس نظامها الاشتراكى
بوصفه أساس القوة السوفياتية وأساس ظفرها ، وانه « يضمن الحياة
السعيدة والثقفة والحررة والفنية » الى كل مواطن ، وأنه أمل
الانسانية جمعاء .

سبصر قريباً

إبرها العربي

بقلم سبصر أبو الحسن المصمى

فى هذا الكتاب أهداف القومية العربية مرسومة
بدقة علمية منطقية رائعة • وفيه الحلول العملية لقضية
العرب الكبرى معالجة بقلم محلل بليغ متزن ، وتوضيح
طريق السير نحو حكم شعبى عربى صحيح •

يخاطب المؤلف كل عربى ويسط له مشاكل
بلادده من جميع نواحي الحياة العربية •

كاوتس، جورج سيلفستر
توجيه العقل الروسي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

370.947

C855LA